# مقياس: جيوسياسية العلاقات الدولية

## المحور الأول: مدخل مفاهيمي للجيوسياسية –الجيوبوليتيك–

### أولا: مفهوم الجيوبوليتيك.

الجيوبوليتيك مصطلح يتكون في الأصل من كلمتين يونانيتين، هما "جيو Geo" وتعني الأرض و "بوليتيك Politique" وتعني السياسية، فالكلمة بمجملها تعني دراسة العلاقة بين الأرض والسياسة، ويطلق هذا المصطلح في مفهومه الضيق على تأثير السياسة على الجغرافيا، ولكن تطور ليشمل دلالات أوسع ليعبر على الروابط والعلاقات السببية.

وقد تعددت التعاريف التي صيغت حول الجيوبوليتيك، حيث عرفه رودولف كيلين –والذي يعد أول من استخدم مصطلح الجيوبوليتيك – على أنه "دراسة البيئة الطبيعية للدولة، وأن أهم ما تعنى به الدولة هو القوة، كما أن حياة الدول تعتمد على التربية والثقافة والاقتصاد والحكم وقوة السلطان. ويحاول كيلين التأكيد على أن الغرض الأسمى للعلم هو جعل الجغرافيا في خدمة الدولة. أما كارل هاوسهوفر فقد عرف الجيوبوليتيك على انه العلم القومي الجديد للدولة، وهي عقيدة تقوم على حتمية المجال الحيوي بالنسبة لكل العمليات السياسية، حيث اعتبر هاوسهوفر أن الجيوبوليتيك هو العلم الجديد للدولة الذي يستند إلى الجغرافيا بدل أمور أخرى. في حين عرفه بيار ماري كلاوس على أنه دراسة العلاقات الموجودة بين تسيير أو قيادة القوة على المستوى العالمي والإطار الجغرافي الذي تمارس فيه. أما إف لاكوست فقد اعتبر الجيوبوليتيك بأنه دراسة لمختلف أشكال صراع السلطة على الأرض، والقدرة تقاس بالموارد التي يحتويها الإقليم وبالقدرة على التخطيط خارج الإقليم. وهو نفس التوجه الذي ذهب إليه ميشال فوشر بأن الجيوبوليتيك هو دراسة العلاقات الموجودة بين سلوك سياسة القوة على المستوى الدولي، والإطار الجغرافي الذي تمارس عليه. أما "مول" فقد عرف الجيوبوليتيك على أنها تهتم بدراسة الدولة من الوجهة السياسية، ولكنها لا تنظر للدولة كمفهوم استاتيكي بل ككائن حي دينامي، فالجيوبوليتيك تدرس الدولة وعلاقاتها بالبيئة لا عنصر المساحة والمشاكل المرتبطة به، كما فرق مول بينها وبين الجغرافيا السياسية، فأوضح أن الأولى تدرس مساحة الدولة فقط، بينما تدرس الثانية احتياجات الدولة من المساحة.

مما سبق يتضح أن الجيوبوليتيك علم يجمع بين الجغرافيا والسياسة، أي أنه علم يقوم على الدراسة الجغرافية للدولة، ويهدف بشكل خاص إلى تحويل المعلومات الجغرافية إلى ذخيرة علمية يتزود بها قادة الدول وصناع سياساتها.

وبذلك يظهر أن الجيوبوليتيك هو دراسة تأثير العوامل الجغرافية متضمنة الخصائص الطبيعية والبشرية والاقتصادية والثقافية على سياسة الدول وعلى العلاقات الدولية. كما يشير هذا المصطلح إلى دراسة التنافس بين الفواعل الدولية وغير الدولية للتحكم والتأثير على الأقاليم الجغرافية وعلى ما تحتويه من ثروات.

**ثانيا: الجيوبوليتيك والمفاهيم المشابهة:**

كثيرا ما نجد مصطلح الجيوبوليتيك يتداخل مع العديد من المفاهيم الأخرى، منها:

**أ. الجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية:** يشير مفهوم الجغرافيا السياسية إلى دراسة الظواهر الموجودة فوق سطح الأرض من وحدات وأقاليم سياسية، وما تمتلكه من مقومات لاستمرار وجودها، وما يؤثر على تطورها من حيث الخصائص الجغرافية والسياسية في آن واحد.

وتعرف بأنها تهتم بدراسة التباين في الظاهرة السياسية من مكان إلى آخر وتداخلها مع التغيرات التي تحدث في ظواهر سطح الارض الأخرى، وخاصة في المكان الذي يقيم فيه الإنسان.

وتعرف الجغرافيا السياسية أيضا بأنها تعتم بدراسة الأقاليم السياسية ومظاهرها فوق سطح الأرض. كما عرفت أيضا بأن الجغرافيا السياسية تهتم بدراسة دور أي عامل جغرافي مؤثر في القرارات والتغيرات السياسية.

وعموما فكثيرا ما نجد أن تداخل كبير بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك، فإذا كانت هذه الأخيرة تركز على الظواهر الجغرافية، وتضفي عليها طابع سياسي، فغن الجيوبوليتيك تركز على الظواهر السياسية لتعطيها مفهوم جغرافي أو تضفي عليها مفهوم جغرافي ودراسة الأبعاد الجغرافية لهذه الطواهر.

وعلى العموم يظهر الاختلاف بين المفهومين في النقاط التالية:

1. تدرس الجغرافيا السياسية الإمكانات الجغرافية المتاحة للدولة، بينما تعنى الجيوبوليتيك بالبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها هذه الدولة لتنمو، وإن كانت وراء الحدود.
2. تهتم الجغرافيا السياسية بالواقع بينما تكرس الجيوبوليتيك أهدافها للمستقبل (من زحزحة الحدود إلى تزييف الحدود).
3. تنظر الجغرافيا السياسية إلى الدولة كوحدة ستاتيكية، بينما تعتبرها الجيوبوليتيك كائنا عضويا في حركة متطورة.
4. الجيوبوليتيك تجعل الجغرافيا في خدمة الدولة، بينما ترى الجغرافيا السياسية أنها صورة الدولة.

**ب. الجيوبوليتيك والجيواستراتيجية:** يتألف مصطلح الجيوستراتيجية أيضا من مقطعين هما (Geo) بمعنى الأرض و(Stratage) بمعنى الاستراتيجية، إلا أن الاستراتيجية هنا لا تنصرف إلى مفهومها القديم الذي يدل

على التخطيط العسكري في مجال التطبيق. بل بمفهومها المعاصر الذي تجاوز العمل العسكري إلى العمل بجميع جوانب التخطيط في إطارها العملي أو التطبيقي، وبعبارة أخرى إن الجيوستراتيجية تجمع بين معنيين هما الأرض والاستراتيجية لتنتج معنى ثالث. تعرف به هو التخطيط السياسي والاقتصادي والعسكري الذي يهتم بالبيئة الطبيعية من ناحية استعمالها في تحليل أو تفهم المشكلات الاقتصادية والسياسية ذات الصفة الدولية. وقد ذهب بعض المفكرين إلى إنها العلم الذي يهتم بدراسة الموقع الاستراتيجي للدولة ومدى تأثيره في علاقاتها مع الدول وتحديد قوتها ومكانتها في السلم والحرب، ولكن في اقتصار وحصر مفهوم الجيوستراتيجية بالموقع ما يمنعه شموليته ويحد من سعته، ما أدى إلى ظهور بعض المحاولات الجادة للفصل بين الجيوستراتيجية وبين الجيوبوليتك لوجود الفرق بينهما من جهة الدولة والإقليم، فالدولة تشكل وحدة التحليل الأساسية في الجيوبوليتك في حين يشكل الإقليم وحدة البناء الفكري في الجيوستراتيجية، أما وظيفيا فان الجيوبولتيك يدرس حركة الدولة في الإقليم، في حين تبحث الجيوستراتيجية في خصائصه ومدى تأثيرها على الدولة. من هنا يمكن الانتباه إلى وجود فارق جوهري بين الجيوستراتيجية والجيوبوليتك من جهة الإقليم، فالأقاليم الجيوستراتيجية تكون ذات امتداد عالمي وربما على أكثر من قارة من قارات المعمورة، في حين يعبر الإقليم الجيوبوليتيكي عن وحدة الظروف الجغرافية في المنطقة التي يشملها، بمعنى انه اصغر مساحة من نظيره الإقليم الجيواستراتيجي.

**ثالثا: أسس – مبادئ– التحليل الجيوبوليتيكي:** إن أسس التحليل الجيوبوليتيكي ما هي إلا مجموعة الفرضيات الاستراتيجية التي تضعها حكومة ما فيما يتعلق بالدول الأخرى في صياغتها لسياستها الخارجية، وتتضمن هذه الأسس تقييم المناطق الجغرافية الواقعة وراء حدود الدولة، من زاوية أهميها الاستراتيجية وإمكان أن تصبح يوما ما مصدر تهديد لأمنها، وهي تعمل على ثلاث مستويات المحلي، الإقليمي والدولي. وعموما يقوم التحليل الجيوبوليتيكي على ثلاث أسس مهمة، هي:

1. اختيار الدولة كمرجع أساسي للدراسة وإطار للمقاربة الجيوبوليتيكية باعتبارها البناء الأساسي، والشكل الحديث للتجمعات الإنسانية ومصدر القوة، وبالتالي فالدولة هي قلب التحليل الجيوبوليتيكي.
2. وصف الوضع الجغرافي وحقائقه، كما يبدو ارتباطه بالقوى السياسية المختلفة.
3. وضع ورسم الإطار المكاني الذي يحتوي على مختلف القوى السياسية المتفاعلة والمتصارعة.

**رابعا: بعض الوضعيات الجيوبوليتيكية:**

أ. المحور الجيوبوليتيكي: تم استعماله من قبل المفكر زبغنيو بريجنسكي، ويشير إلى الدول التي تستمد قوتها من موقعها الجغرافي، سواء كانت ممرات إلزامية أو منافذ مهمة نحو مناطق أخرى.

ب. المجموعة الجيوبوليتيكية: ويقصد بها مجموعة الدول التيلديها كرطة متماسكة ومستمدة من موقعها الجغرافي، حيث يجعلها هذا الاخير تتحرك كوحدة واحدة مثل الاتحاد الأوروبي.

ج. الوضعية الجيوبوليتيكية: ويعرفها اف لاكوست بقوله بان هناك وضعية جيوبوليتيكية، عندما تتوفر العناصر التالية:

- وجود مسار تاريخي.
- وجود صراع وتصادم في القوة بنين فاعلين أو أكثر على نطاق واسع.
- وجود علاقات قوة بين دولتين أو أكثر، بحيث يكون واحد منها عنصر ضاغط، ويتبنى الطرف الآخر رد الفعل.
- يستهدف إقليم معين مثلا قضية الصحراء الغربية.

إن جوهر الجيوبوليتيكا هو تحليل العلاقات السياسية الدولية على ضوء الأوضاع والتراكيب الجغرافية. ويقوم التحليل الجيوبوليتيكي على موضوعي أساسيين:

1. وصف الوضع الجغرافي وحقائقه كما تبدو بالارتباط بالقوى السياسية المختلفة.
2. وضع ورسم الإطار المكاني الذي يحتوي على القوى السياسية.